ARID Journals

ARID International Journal of Social Sciences and Humanities (AIJSSH)

Journal home page: http://arid.my/j/aijssh

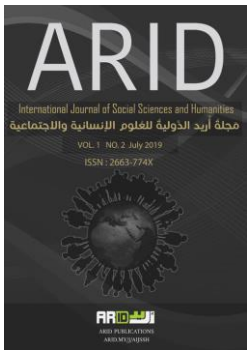

مَجلةُ أُريد الدَّوليةُ للعُلومِ الإنسانية والاجتماعية

العدد 2 ، المجلد 1 ، تموز 2019 م

A descriptive, analytical and rhetorical study of parenthesis in imam Ahmad bin Hanbal's Musnad, according to Ummu Salmah's narration of the prophet's expression

Ibtisam Ali Salem Halaly*, Dr.zainal Abidin Hajib, Dr.zulkiphli Bin Md.Isa(Al-

Universiti Sains Islam Malaysia

الجملة الاعتراضية في مسند الإمام أحمد بن حنبل برواية أم سلمة عن الرسول الكريم: دراسة تركيبية تحليلية

*(1) ابتسام علي سالم حلالي (2) د.زين العابدين حاجب (3) د.ذو الكفل بن محمد عيسى

جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

Halaly.ibtisam@gmail.com

arid.my/0001-1375

ARTICLE INFO

Article history:
Received 01/04/2018
Received in revised form 02/09/2018
Accepted 01/04/2019
Available online 15/07/2019

ABSTRACT

Indeed, the reciter of the Holy Quran will realize that the expression of the noble Prophet is precise, devoid of blunders and derived from the glorious Quran. However, syntactic researches on the prophetic traditions have been neglected, even till recent times. This is owed to some factors which include the narration of the traditions with their wording, meaning and recounting. Thus, this work seeks to explore parenthesis in the traditions narrated verbatim. Although parenthesis is inadmissible in parsing, it remains one of the classifications of sentences in Arabic texts. Observably, the syntactical and rhetorical study of the prophet's traditions is minimal, when compared to the attention of the syntacticians to the study of the Quranic expressions and Arab speech in poetry and prose. This is due to the difference of opinions of the syntacticians over the narration of the traditions. Based on that, this research aims to generally examine the likelihood of the stand of the classical and modern syntacticians on the study of expressions of the prophetic traditions syntactically, and specifically explore the parenthetical terms used by the classical and modern syntacticians. Also, it aims to analyze the styles of the parenthetical clauses and their rhetorical purposes in the traditions narrated by Ummu Salmah in Ibn Hanbal's Musnad. This study is theoretical and qualitative in nature. As such, it employs descriptive analytical method to describe: how the syntacticians deal with the expressions of prophetic traditions, establish their stand on the study of the expressions based on the syntactical rules, and analyze the styles and structures of the parenthetical clauses contained in the traditions narrated by Ummu Salmah in Ibn Hanbal's corpus. This is done to get the purposes of their usages in the texts. One of the primary outputs of this study is that the parenthetical clauses used in the traditions are characterized by some syntactical and rhetorical terms. And there are syntactical structures used in the textual contexts for rhetorical purposes.

Keywords: Hadith Clauses, Parsing, Inadmissible clauses in parsing, Narration with expression.

الملخص

إن القارئ لكتاب الله العزيز يتجلى له أن لفظ الرسول الكريم ﷺ لفظًا حكيمًا منزَّهًا عن الخطأ، ومستمدًا من القرآن الكريم، غير أن الأحاديث النبوية الشريفة قد أُقصيت من الدراسات النحوية حتى وقت متأخر لعدة أسباب منها: رواية الأحاديث باللفظ، والمعنى، والحكاية. من هذا المنطلق، تبنّى البحث دراسة الجملة الاعتراضية خالية الموضع من الإعراب في الأحاديث النبوية المروية بلفظ الرسول الكريمﷺ، باعتبارها واحدة من أنواع الجمل العربية الواردة في السياق النصي، والكشف عن أغراضها البلاغية، إذ قلَّت دراسة الجمل من الجوانب النحوية والبلاغية في الأحاديث النبوية مقارنةً باهتمام النحاة بدراسة الجمل القرآنية، وكلام العرب شعرًا ونثرًا نتيجة اختلاف آراء النحاة في رواية الأحاديث النبوية الشريفة. وبناءً على ذلك؛ يهدف البحث إلى ترجيح القول في موقف النحاة القدامى والمحدثين من دراسة جملة الحديث النبوي الشريف ضمن المنظومة النحوية عمومًا، والكشف عن اصطلاحات الجملة الاعتراضية لدى النحاة قديمًا وحديثًا خصوصًا، كما تهدف إلى الكشف عن أنماط الجملة الاعتراضية، وأغراضها البلاغية في الأحاديث النبوية المروية بلفظ الرسول الكريم ﷺ عن السيدة أم سلمة في مسند الإمام أحمد بن حنبل. وإن هذا البحث بحث نظري مكتبي، يعتمد المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على وصفٍ لتناول النحاة لجملة الحديث النبوي الشريف بشكل خاص، ثم ترجيح القول في موقفهم من دراسة جمل الحديث النبوي الشريف ضمن منظومة القواعد النحوية، ثم وصفٍ لأنماط وتراكيب الجملة الاعتراضية الواردة في الأحاديث النبوية في مسند السيدة أم سلمة؛ وصولا إلى بيان أغراضها البلاغية من ورودها في السياق النصي. ومن النتائج الأوليَّة للبحث أنَّ الجملة الإعتراضية في الحديث النبوي الشريف حظت بالعديد من الاصطلاحات النحوية والبلاغية، ولها تراكيبها النحوية، وأنها ترد في السياقات النصية لأغراض بلاغية منها: التنزيه، والتوكيد وعدم الشك.

الكلمات المفتاحية: الجملة الحديثية، الإعراب، جمل لا محل لها من الإعراب، الرواية باللفظ.

المقدمة:

عُرِفَت الاعتراضات كثيرا في كلام العرب شعرا ونثرا، ووردت كثيرا في كلامهم في صورة مفردات وجمل، وقد ذكر النحاة أن الكلام الوارد اعتراضا إنما يُذكَر ليعطي فائدة معنوية، غير أن الجمل الاعتراضية لا تحمل أي محلية إعرابية، بينما تشغل حيزا من السياق النصي.

وقد أشار بعض النحاة للجملة الاعتراضية الواردة في كلام العرب شعرًا ونثرًا، كما تناولها بعض المفسرين في السياق القرآني تناولا طيبا، وفصَّل بعضهم القول في تراكيبها، ومضانها، وأحوالها، وأغراضها، غير أن الجملة الاعتراضية في الحديث النبوي الشريف لم تنل ذاك الحظ الوافر من العناية في إطارها النحوي؛ فأقصيت جملة الحديث النبوي الشريف في عمومها من الدراسات النحوية لعدة أسباب اختلف فيها النحاة آنذاك.

ومن جانب آخر، فإن من النحاة من أشار إلى بلاغة لغة الحديث النبوي الشريف، وبيّن أن الأحاديث النبوية الشريفة غنية بالقواعد النحوية التي من شأنها إثراء منظومة التقعيد النحوي؛ ومن أولئك النحاة الجاحظ (255هـ)، الذي بيّن أهميتها في الدرس النحوي من حيث التقعيد النحوي.

من هذا المنطلق تبنت هذه الورقة البحثية تسليط الضوء على ما تعارف عليه العرب في كلامهم

– الجمل الاعتراضية-، وتطبيقه على الأحاديث النبوية الشريفة المرويَّة بلفظ الرسول الكريم ﷺ عن السيدة أم سلمة في مسند الإمام أحمد بن حنبل دراسة في صورة دراسة تركيبية تحليلية.

أولا: مشكلة الدراسة:

لقد أشار الجاحظ (255هـ) في كتابه (البيان والتبيين) إلى بلاغة وجزالة ورصانة لغة الأحاديث النبوية الشريفة [2]، إلا أن الخلاف الذي قام بين النحاة قديمًا في قضية الاحتجاج بالحديث النبوي، أدَّى إلى إقصائها من الدراسات النحوية، متوسعين في دراسة الجملة القرآنية، وكلام العرب شعرًا ونثرًا؛ فكثرت مؤلفات ومصنفات إعراب القرآن الكريم، واهتم النحاة بدراسة كلام العرب شعرا ونثرا، تقعيدا، واحتجاجا، وأوسعوا الجملة الحديثية دراسة في إطارها التشريعي، دون أن تنل العناية النحوية الكافية آنذاك، وأدَّى ذلك إلى قلة مصنفات إعراب الحديث النبوي الشريف مقارنة بمصنفات إعراب القرآن الكريم. ومن هذا المنطلق برزت مشكلة الدراسة، التي تمثلت في إقصاء الجملة الحديثية في عمومها من الدراسات النحوية رغم رصانتها، وفصاحتها، وبلاغتها بسبب اختلاف آراء النحاة في رواية الأحاديث النبوية الشريفة؛ فولدت فكرة التوجه إلى دراسة الجملة الحديثية للاستفادة من مخزونها اللغوي، والاقتصار على دراسة الجملة الاعتراضية خالية الموضع من الإعراب في إطار الأحاديث النبوية الشريفة، وبيان تراكيبها النحوية، وأغراضها البلاغية من ورودها في السياق النصي.

ثانيا: أسئلة الدراسة:

يتمحور موضوع هذه الورقة حول الجملة الاعتراضة خالية الموضع من الإعراب، الواردة في مسند السيدة أم سلمة رضي الله عنها في مسند الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله لتجيب عن الأسئلة الآتية:

1) كيف كان موقف النحاة من قضية الاستشهاد بالحديث النبوي قديمًا وحديثًا؟

2) ما المصطلحات التي استخدمها النحاة قديما وحديثا للدلالة على الجملة الاعتراضية التي لا محل لها من الإعراب؟

3) ما أنماط الجملة الاعتراضية الواردة في أحاديث الرسول الكريم ﷺ المروية بلفظه عن السيدة أم سلمة؟

4) ما الأغراض البلاغية للجملة الاعتراضية الواردة في أحاديث الرسول الكريم ﷺ المروية بلفظه الشريف عن السيدة أم سلمة؟

ثالثا: أهداف الدراسة:

إن الدراسة الحالية تعتمد على مجموعة من الأهداف يمكن صياغتها وتفصيلها على النحو الآتي:

1) ترجيح الرأي في موقف النحاة من قضية الاستشهاد بالجملة الحديثية قديمًا وحديثًا في الدراسات النحوية.

2) الكشف عن المسميَّات المصطلحيَّة للجملة الاعتراضية في المصطلح النحوي لدى النحاة قديما وحديثا.

3) تحليل أنماط الجملة الاعتراضية التي ليس لها محل من الإعراب الواردة في الأحاديث المروية بلفظ الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عن أم سلمة .

4) بيان الأغراض البلاغية للجملة الاعتراضية الواردة في الأحاديث المروية بلفظ الرسول الكريم ﷺ عن أم سلمة .

رابعا: أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في تركيزها بشكل مباشر على دراسة الأحاديث النبوية الشريفة للرسول الكريم ﷺ التي روتها عنه السيدة أم سلمة - رضي الله عنها-، في مسند الإمام أحمد بن حنبل، ويمكن بيانها على النحو الآتي:

1) ترجيح القول في دراسة الجملة الحديثية دراسة نحوية، وتفنيد بعض آراء النحاة في قضية الاحتجاج بالجملة الحديثية؛ مما سيساعد في تقريب وجهات النظر في دراسة الجملة الحديثية دراسة نحوية دلالية.

2) توجية القول في مصطلحات الجملة الاعتراضية للنحاة قديما وحديثا؛ لاختلاف آراء النحاة في الاصطلاح عليها.

3) الاستفادة من تراكيب الجملة الاعتراضية الحديثية في الاستشهاد النحوي.

خامسا: الدراسات السابقة:

استند البحث على مجموعة من الدراسات السابقة، يمكن بيانها في الآتي:

1. أحمد مرغم. 2014م. دلالة الجملة الاعتراضية في القرآن الكريم. (رسالة دكتوراه). جامعة سطيف2.

2. باسل فيصل سعد الزعبي (وآخرون). (2009م). "المصطلح النحوي بين البصريين والكوفيين". الجامعة الوطنية الماليزية- كلية الدراسات الإسلامية- قسم الدراسات العربية والحضارة الإسلامية _ ماليزيا_ مجلة علوم انسانية. مقالة علمية. العدد 41.

3. عبد الآله بن عبده أحمد مباركي. 1429هـ (2008م). الاعتراض في القرآن الكريم (مواقعه ودلالاته في التفسير). (رسالة ماجستير). جامعة أم القرى.

4. اليزيد بلعمش. 2007م. الجمل التي لا محل لها من الإعراب ووضائفها الإبلاغية: "الجملة الاعتراضية والجملة التفسيرية وجملة الصلة" دراسة تطبيقية في سورة البقرة. (رسالة ماجستير). جامعة الحاج لخضر.

5. د.محمد صالح شريف عسكري. 1431ه. "الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف عند اللغويين". مجلة آفاق الحضارة الإسلامية. أكاديمية العلوم الإسلامية والدراسات الثقافية. السنة الثالثة عشرة. العدد الثاني. 97-113.

6. القوزي، عوض حمد. 1980م. المصطلح النحوي: نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري. جامعةالرياض: عمادة شؤون المكتبات.

7. إبراهيم. السيد أبو العزم. 1977م. المصطلحات النحوية نشأتها وتطورها. (رسالة ماجستير). كلية دار العلوم بالقاهرة.

سادسا: حدود الدراسة:

تمثلت حدود الدراسة الموضوعية في الاقتصار على دراسة الجملة الاعتراضية دراسة نحوية، وتطبيقها على

الأحاديث النبوية الشريفة الواردة في نص الحديث النبوي الشريف المروي بلفظ الرسول الكريم ﷺ في مسند السيدة أم سلمة ضمن مسند الإمام أحمد بن حنبل.

نشأة إعراب الحديث النبوي في إطار الدراسات النحوية، وتطورها:

إن النشأة الإعرابية الأولى للحديث النبوي عند النحاة قديما لم تكن واضحة مقارنة بنشأة إعراب القرآن الكريم، وعناية النحاة بكلام العرب شعرا ونثرا، ولعل منهجية سيبويه في الاستشهاد بالأحاديث النبوية مدعاة للبحث والتعمق فيها؛ ذلك لأنه ذكر بعضا من الأحاديث النبوية الشريفة، وأعرب

عن الشاهد فيها دون أن ينسبها للرسول ﷺ، ثم تبع نهجه بعض النحاة من بعده دون أن يخصصوا مصنفا بعينه في إعراب الأحاديث النبوية رغم احتجاجهم بالأحاديث النبوية الشريفة، وخاصة بعد وضعهم مؤلفات كثيره في إعراب القرآن الكريم.

وتتجلى بدايات إعراب الأحاديث النبوية الشريفة في منهجية غير واضحة لدى أوائل النحاة والمفسرين، تناول فيها بعضهم الأحاديث النبوية في كتبهم؛ لبيان معنى لغوي، أو للاحتجاج على قاعدة نحوية، دون إسنادها إلى لفظ الرسول الكريم ﷺ، بينما ذهب بعض من النحاة إلى الاحتجاج بقول الرسول الكريم، مع إسناد قوله الشريف إلى استعمالات العرب في كلامهم، بينما ذهب آخرون إلى الاحتجاج والاستشهاد بقول الرسول الكريم ﷺ مع الاحتراز من الضعيف منه، بينما ذهب آخرون إلى الاحتجاج بالحديث النبوي مطلقا [أ].

إن إعراب الحديث النبوي تأخر كثيرا عن إعراب القرآن الكريم؛ ففي الوقت الذي وضع أول مصنف في إعراب الحديث النبوي الشريف على يد العكبري (616هـ)؛ لتعليم تلاميذه في القرن السادس الهجري، كان القرآن الكريم قد نال حظا وافرا في إعرابه، ووضعت مصنفات كثيرة في ذلك الجانب.

لقد كان لتلامذة الحديث الذين تتلمذوا على يد العكبري الدور الكبير في وضع أول كتاب في إعراب الحديث النبوي على يد الشيخ الضرير العكبري (616هـ)، وقد ذكر صاحبه في سبب وضعه: "... فإن جماعة من طلبة الحديث التمسوا مني أن أملي مختصرا في إعراب ما يشكل من الألفاظ الواقعة في الأحاديث، وأن بعض الرواة قد يخطئ فيها" [4]، فكان كتاب العكبري كتابا تعليميا في المقام الأول.

ولقد استمرت جهود بعض العلماء بعد العكبري في إعراب الأحاديث النبوية من خلال الشاهد النحوي، ووضع ابن مالك (672هـ) كتابه (شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح) الذي تناول فيه قضية الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف وأهميته في القاعدة النحوية، ثم أنشأ المدرسة الأندلسية التي دعت إلى صحة الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف، والاستفادة من الأساليب التركيبية في توجيه التقعيد النحوي [3]، ثم توالت الجهود بعد ذلك في إعراب الحديث إلى أن وضع السيوطي مصنفا ثالثا في إعراب الحديث الموسوم بـ (عقود الزبرجد فى مسند الإمام أحمد)، الذي أشار فيه إلى أهمية مؤلف العكبري(616هـ)، وابن مالك (672هـ)، باعتبارهما أول من صنَّف في إعراب الحديث النبوي الشريف. [4]

وتطورت النشأة الإعرابية في إعراب الحديث حديثا، فقد اهتم المحدثون بإعراب الحديث النبوي الشريف، وتوسعوا فيه بالدراسة للاستفادة من الثروة اللغوية الكامنة في قول خير الأنام ﷺ، وبرزت جهودهم من خلال ظهور مؤلفات، ورسائل علمية حديثة تناولت قضية الاحتجاج والاستشهاد بالأحاديث النبوية الشريفة، مؤكدين أهميتها؛ ونذكر منها ما يلي على سبيل المثال لا الحصر:

1. د.محمود فجال. 1997م. الحديث النبوي في النحو العربي. الطبعة الثانية. الرياض: أضواء السلف.

2. عودة خليل أبو عودة. 1990م. بناء الجملة الحديثية في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين. عمان: دار النشر.

(أ) أصحاب هذه الفرق تم توضيحها في (موقف النحاة قديما من دراسة الجملة الحديثية).

3. محمد حسن العطار. 2014م. الاستشهاد بالحديث النبوي عند ابن عقيل: دراسة وصفية تحليلية. رسالة ماجستير.

4. صالح بن محمد بن حمد الفرّاج. 1423هـ. بناء الجملة في رسائل النبي ﷺ: دراسة نحوية. (رسالة دكتوراه).جامعة أم القرى.

5. رحاب جاسم عيسى العطيوي. 2006م. الإعراب والبناء في الحديث الشريف: دراسة وصفية في إطار (رياض الصالحين). (رسالة دكتوراه). جامعة الموصل.

6. د.محمد صالح شريف عسكري. 1431هـ. الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف عند اللغويين. مجلة آفاق الحضارة الإسلامية. أكاديمية العلوم الإسلامية والدراسات الثقافية. السنة الثالثة عشرة. العدد الثاني 97-113.

ومما سبق عرضه، يتضح جليا أن الحديث النبوي الشريف قد أعرب في وقت متأخر مقارنة بإعراب القرآن الكريم، واهتمام النحاة بمأثور كلام العرب شعر ونثرا.

موقف النحاة قديما من دراسة الجملة الحديثية نحويًا:

كان للنحاة أصحاب السَّبق الأول في الدراسات النحوية مصادرًا اعتمدوا عليها في تقعيد النحو العربي، وكان من أهمها: القرآن الكريم، وكلام العرب شعرا ونثرا، وقد كان سيبويه (180هـ) ممن اهتم بقضية الاحتجاج تقعيدا للنحو في كتابه؛ فاستشهد بالآيات القرآنية الكريمة، والشعر العربي تقعيدا ثارة، واحتجاجا ثارة أخرى، ثم توالت الجهود في وضع المؤلفات والكتب التي اهتمت بالشاهد القرآني قديمًا وحديثًا سواء تقعيدا أو استشهادا، واهتم النحاة كذلك بالجملة القرآنية اهتماما ملحوظا؛ فقد كَثُرَتْ المؤلفات والدراسات التي تناولت جانب إعراب القرآن الكريم، وبيان معانيه وإعجازه على امتداد عصور التَّأليف النحوي والتقعيد؛ وذلك لما لهذا الجانب من أهمية في الكشف عن المعاني الباطنة لتراكيب الجملة القرآنية، ومن جانب آخر؛ كان الحال مع شرح وبيان نصوص الشعر على اختلاف عصوره من خلال الوقوف على تراكيب الجمل وأبنيتها التي استشهد بها كثير من النحاة في هذا المجال.

وأما الاحتجاج بكلام العرب شعرا ونثرا فقد قيده النحاة بقيود مكانية، وأخرى زمنية، سُمِّيَت بفترة الاحتجاج، معتمدين على عنصري الزمان والمكان في الاحتجاج بكلام العرب؛ فأما الزمان، فقد قيَّدوه بالفترة الممتدة من العصر الجاهلي حتى سنة مائة وخمسين للهجرة، وبعضهم قد زاد على ذلك، وأما المكان؛ فقد تحروا فيه الأخذ عن قبائل عربية بعينها لم تختلط بالعجم؛ ظنًا منهم أن تلك القبائل لم يدخل إلى لغتها اللحن والخطأ، فجعلوا لهجة قريش مصدرًا أساسيًّا في التقعيد، ومرجعًا يُعتمد عليه؛ لما امتازت به من فصاحة الألفاظ، إضافة إلى بعض لهجات القبائل العربية الأخري كلهجة قبيلة قيس، وأسد، وهذيل، وكنانة، وبعض الطائيين. [5]

وأما جملة الحديث النبوي الشريف، فقد أشار الجاحظ (255هـ) إلى أهميتها، وقوتها، ورصانتها، وثروتها اللغوية، قائلا: "لم يسمع الناس كلاما قط أعمَّ نفعًا، ولا أقصد لفظًا، ولا أعدل وزنًا، ولا أجمل مذهبًا، ولا أكرم مطلبًا، ولا أحسن موقعًا، ولا أسهل مخرجًا، ولا أفصح معنىً، ولا أبين في

فحوى من كلامه ﷺ وسلّم كثيرًا" [1]، غير أنه تم إقصاء الأحاديث النبوية من قبل بعض النحاة حتى وقت متأخر لأسباب منها: رواية الحديث الشريف بالمعنى، وضعف بعض أسانيد الحديث النبوي الشريف، وانتشار اللحن على ألسنة الرواة، وانقسموا في هذه القضية إلى فرق ثلاثة.

لقد تناول النحاة المحدثين أمر انقسام النحاة قديما في قضية الاحتجاج بالأحاديث النبوية إلى ثلاثة أفرقة تبين موقفهم في الاحتجاج؛ فانقسموا إلى مانعين بالإطلاق، ومجوزين بالإطلاق، ومتوسطين [6]، غير أن هذه الدراسة وضعت تقسيما آخر، يتناول منهجية النحاة قديًما في الاحتجاج والاستشهاد بالحديث، وموقفهم في ذلك على النحو التالي:

الفريق الأول: فريق احتجَّ ببعضٍ من أحاديث الرسول الكريم ﷺ تقعيدا واستشهادا، مشيرين إلى نص الحديث بلفظ (قال)[7]، و(قوله)[8]: وتمثل هذا الفريق في سيبويه (180هـ) في (الكتاب)، والسيرافي في (شرح كتاب سيبويه)، إذ كانا يذكران نص حديث الرسول الكريم ﷺ ويسبقانه بقولهما: (قال)، و(قوله)؛ عند استشهادهما بلفظ الحديث النبوي الشريف.

الفريق الثاني: فريق احتجّ بالأحاديث النبوية الشريفة في التقعيد على أنها من كلام العرب، وأبرز أصحاب هذا الفريق سيبويه (180هـ) في (الكتاب)، والمبرد (285هـ)، في (المقتضب) وابن السراج (316هـ) في (الأصول في النحو)، والسيرافي (386هـ) في (شرح كتاب سيبويه)؛ إذ نسبوا ما استشهدوا به من أحاديث نبوية شريفة إلى كلام العرب، واحتجوا بها، وكانوا يسبقونها بعبارات تدل على أن نص الحديث الشريف هو ممَّا يستخدمه العرب في كلامهم؛ ومن ذلك ما ذكره سيبويه حين استخدم عبارات منها: "ومنهم من يقول" [7]، و"ومن العرب من..."[7]، و"لأن الأصل عندهم" [7]، واستخدم المبرد (285هـ) عبارة "كذلك لو قلت" [9]، وتبع ابن السراج (316ه) سيبويه في قائلا عن استشهاده بنص من الحديث النبوي الشريف: "أما قولهم"[10.7]، و"مثل ذلك"[10.7]، كما سار على المذهب نفسه السيرافي (386هـ) في (شرح أبيات سيبويه) متأثرا به، فاستخدم جملة "وتقول". [8]

لقد احتجَّ أصحاب هذا الفريق بنصوص هي نصوص من قول الرسول الكريم ﷺ ، ولكنهم نسبوها إلى أقوال العرب في الاحتجاج مستخدمين العبارات المذكورة.

الفريق الثالث: فريق احترز في الاحتجاج ببعض الأحاديث لاحتمال اللحن فيها، أو لضعف روايتها: وأبرز أصحابه القاضي بدرالدين ابن جماعة فيما نقله عنه السيوطي (911هـ) في (الاقتراح)، أن القاضي بدر الدين قد انتقد ابن مالك في استشهاده بالأحاديث التي وقع فيها لحن الأعاجم، قائلا: "وقد قال لنا قاضي القضاة بدر الدين ابن جماعة، وكان ممن أخذ عن ابن مالك: "قلت له: يا سيدي هذا الحديث رواية الأعاجم، ووقع فيه من روايتهم ما يعلم أنه ليس من لفظ الرسول، فلم يجب بشيء". [5]

وقد سار على هذا المذهب السيوطي (911هـ)، الذي لم ير مانعًا في الاحتجاج بأحاديث الرسول الكريم ﷺ التي لا يقع فيها اللحن؛ فاستشهد ببعض الأحاديث النبوية التي كانت توافق القاعدة النحوية بلفظ الرسولﷺ ، قائلا في كتابه: "وأما كلامه ﷺ فيستدل منه بما ثبت أنه قاله على اللفظ المروي،وذلك نادرا جدا، إنما يوجد في الأحاديث القصار، على قلة أيضا ...من ثم أنكر على ابن مالك إثباته القواعد النحوية بالألفاظ الواردة في الحديث". [5]

الفريق الرابع: فريق منع الاحتجاج بالحديث النبوي بالإطلاق؛ لروايته بالمعنى ودخول اللحن على لسان الأعاجم: إذ برز رأي هذا الفريق عند بعض النحاة الذين لم يستشهدوا في كتبهم بالأحاديث النبوية في التقعيد النحوي، ولكنهم آثروا النقل والاحتجاج بكلام العرب، والاستشهاد بالآيات القرآنية الكريمة، وأبرز أصحاب هذا الفريق: أبو الحسن النحوي [ب] (614هـ) الملقَّب بابن الضائع، وأبو حيان النحوي [ج] (654هـ).

لقد نقل السيوطي (911هـ) في (الاقتراح) رأي ابن الضائع في سبب منعه الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف، قائلاً: "تجويز الرواية بالمعنى هو السبب عندي في ترك الأئمة، كسيبويه وغيره، الاستشهاد على إثبات اللغة بالحديث، واعتمدوا في ذلك على القرآن وصريح النقل عن العرب"[5]، وقد أنكر أبو الحسن الضائع على ابن خروف كثرة الاستشهاد بالأحاديث النبوية على نيَّة الاستنباط، بينما أقرَّ احتجاجه بالأحاديث على نيَّة ذكر الحديث نفسه. [5]

وسار على الرأي نفسه أبو حيان النحوي (654هـ) في منع الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف قائلا: "وإنما أمعنت الكلام في هذه المسألة لئلا يقول مبتدئ: ما بال النحويين يستدلون بقول العرب وفيهم المسلم والكافر، ولا يستدلون بما روي في الحديث بنقل العدول كالبخاري ومسلم وأضرابهما؟ فمن طالع ما ذكرناه أدرك السبب الذي لأجله لم يستدل النحاة بالحديث". [5]

لقد استند أبو حيان (654هـ) في رأيه هذا على تأويل جهود الأوائل في الاحتجاج؛ فلما وجد أنهم لم يصرحوا بالاستشهاد بالحديث النبوي وأبعدوه عن دائرة الاحتجاج [د]، ابتعد هو كذلك عنها؛ بحجة أنه لن يكون أي استنباط جديد في قواعد اللغة بعد جهود الأوائل، قائلا: "بيَّنا علة كون علماء العربية الذين أسسوا قوانينها وقواعدها لم يبنوا الأحكام علي ما ورد في الحديث كأبي عمرو بن العلاء، والخليل ابن أحمد، ويونس ابن حبيب، وسيبويه [ه] [7]، والاخفش، والجرمي، والمازني، والمبرد [و] [9]، والكسائي، والفراء، وهشام، والأحمر، وثعلب، وغيرهم رحمهم الله، وجاء هذا الرجل [ز] متأخرا في أواخر القرن سبعمائة، فزعم أنه يستدرك علي المتقدمين ما أغفلوه وينبه الناس علي ما أهملوه ولله در القائل: لن يأتِ آخر هذه ألامه بأفضل ما أتي به أولها". [12]

وبالرجوع إلى كتب التراث اللغوي، لم نجد نصًّا صريحا لسيبويه، والفراهيدي، والفراء، والمبرد وغيرهم من العلماء الذين ذكرهم ابن حيان في نصه على عدم احتجاجهم بالحديث على النحو الذي صرَّح به أصحاب هذا الفريق، بل وجدنا أن سيبويه، والمبرد ممَّن احتجَّ بكلام رسول الله ﷺ في متن نصوصهم وإن لم يذكرا ذلك صراحة.

[ب] هو: علي بن محمد بن علي بن يوسف الكتامي، المعروف بـ (أبو الحسن ابن الضائع)، أخذ العربية عن أبي زكريا بن ذي النون، وأبي علي ابن الشلوبين، ومن مؤلفاته أن له جمع حسن بين شرحي السيرافي وابن خروف "كتاب سيبويه"، وله بعض الانتحالات في العلوم.

[ج] هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الغرناطي الاندلسي أثير الدين أبو حيان النحوي، كان واسع المعرفة بالعربية والقراءة والتفسير وغير ذلك، وله عدة مؤلفات منها: في النحو: (شرح التسهيل)، وفي التفسير: (البحر المحيط)، ومن مؤلفاته أيضا: (إرتشاف الضرب من لسان العرب)، و(التحرير لأحكام سيبويه).

[د] انظر البحث نفسه، الفريق الثاني.

[ه] استشهد بستة أحاديث، ووضعناه في الفريقين الأول والثاني

[و] استشهد بحديث نبوي ونسبه إلى كلام العرب، ووضعناه في الفريق الثاني. انظر البحث نفسه.

[ز] يعني ابن مالك في كتابه (شواهد التوضيح والتصحيح).

الفريق الخامس: فريق احتجَّ بالأحاديث النبوية الشريفة استشهادا: وكان من أبرزهم: (ابن جني) (392هـ) في (المحتسب)، و(ابن سيده) (458هـ) في (المحكم)، وابن خروف (609هـ) في (تنقيح اللباب في شرح غوامض الكتاب)، والعكبري (616هـ) في (إعراب الحديث النبوي)، وابن مالك (627هـ) في (التصحيح والتوضيح)، وابن هشام (761هـ) في (مغني اللبيب)، غير أن أبن الضائع أنكر كثرة الاستشهاد بالأحاديث النبوية على ابن خروف على وجه الاستنباط، كما أُنكِر على ابن مالك استشهاده بالأحاديث التى رواها الأعاجم. [5]

من الجدير بالذكر أن بعض علماء اللغة، والمفسرين، وشرَّاح الأحاديث قد استشهدوا بالأحاديث النبوية في مصنفاتهم لبيان مسائل لغوية، وأخرى بيانية، ومن أولئك: ابن قتيبة (276هـ)، وابن عطية (542هـ)، والنيسابوري (548هـ)، والقرطبي (671هـ)، والألوسي (1270هـ)، وابن عاشور (1393هـ)، وغيرهم، وهذا إن دلَّ إنما يدل على أن الحديث النبوي الشريف كان له حضوره في قاعدة الاستشهاد اللغوية منذ القدم، مما يدفع إلى الاجتهاد للاستفادة من مخزونها اللغوي في التقعيد النحوي.

ومما سبق، فإن الرأي الذي ترتضيه الدراسة في الاحتجاج والاستشهاد بالحديث النبوي هو: تحري الأحاديث النبوية الشريفة، وتتبع المروي منها بلفظه الشريف ﷺ؛ للاستفادة منها في التقعيد والاحتجاج النحوي، والاستفادة من مخزون اللغة الرصينة للأحاديث النبوية، التي أكدَّ رصانتها المولى عزَّ وجل في كتابه الحكيم عندما قال: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ (القرآن. سورة النجم53: 2-5).

جهود النحاة حديثا من دراسة الجملة الحديثية نحويا:

عكف الباحثون المحدثون على دراسة الأحاديث النبوية في إطارها النحوي، بعد انتباههم إلى الثروة اللغوية الموجودة فيها، وأشاروا إلى قلة دراستها في إطار اللغة مقارنة بكثرة دراستها في إطارها التشريعي، وأشار إلى قلة تناول لغة الحديث بالدراسة النحوية قديما وحديثا كثير من الباحثين، منهم الدكتور عودة خليل عودة في دراسته الموسومة بعنوان: (بناء الجملة الحديثية في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين)، قائلا: "أما الدراسات التي دارت حول الحديث النبوي الشريف فإنها لم تشمل تقريبا إلا الجانب الأساسي وهو جانب التشريع، أما جانب اللغة في مجال الحديث الشريف فإن الدراسات فيه نادرة جدا". [13]

إن في قول الدكتور عودة خليل عودة ما يدل على أن لغة الحديث النبوي الشريف لم تنل الحظ الوافر من الدراسة

النحوية، وفيه أيضا دعوة للالتفات لهذه الثروة اللغوية الكامنة فيها، مما دفع الباحثين إلى البحث فيها، إلى أن وضعوا بعض المؤلفات المختصة بدراسة لغة الحديث النبوية، والاحتجاج بها، والاستفادة من مخزونها (ج).

الجانب التطبيقي للجملة الاعتراضية، في أحاديث الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم المروية عن السيدة أم سلمة بلفظ الرسول الكريم ﷺ، في مسند الإمام أحمد بن حنبل

(ج) أشير إلى بعض المؤلفات الحديثة التي تناولت لغة الحديث النبوي الشريف في (نشأة نشأة إعراب الحديث النبوي في إطار الدراسات النحوية، وتطورها) في البحث نفسه.

مصطلح الاعتراض عند أهل البلاغة:

ورد في كتب البلاغة والبيان مصطلحات للاعتراض، تختلف عن مصطلحات أهل النحو؛ فالاعتراض عند البيانيين هو: "أن يؤتى في أثناء كلام أو كلامين متصلين معنى بشيء يتم الغرض الأصلي بدونه ولا يفوت بفواته فيكون فاصلا بين الكلام والكلامين لنكتة"[14]، وهو أيضا: "كلام أدخل فيه لفظ مفرد أو مركب لو سقط لبقي الأول على حاله". [15]

ورجوعا إلى ما تعارف عليه العرب في كلامهم، يلاحظ أن الاعتراض لم يكن حشوا أو عبثا لفظيا، بل هو من سنن كلامهم [16]؛ فقد ورد في شعرهم ونثرهم؛ حتى عدَّ فنا من فنون البلاغة والبيان، وهو "حسن ودال على فصاحة المتكلم" [17]، وزاد على ذلك ابن المعتز (296هـ)، إذ جعله من محاسن الكلام، قائلا: "ومن محاسن الكلام أيضا والشعر، اعتراض كلام في كلام لم يتمم معناه، ثم يعود إليه فيتممه في بيت واحد" [18]، وبلغت أهمية الاعتراض عندهم مبلغا كبيرا، إذ جعله بعضهم نوعا من أنواع الفصاحة، وفي هذا يقول الصغاني: "ومن أنواع الفصاحة الالتفات، ويسمه قوم الاعتراض". [19]

وقد تنوعت أساليب الاعتراضات الكلامية كما تعددت مصطلحاته البلاغية، فذهب فريق من البلاغيين إلى استخدام مصطلح (الاعتراض) منهم: ابن المعتز (296هـ)، وابن فارس (395هـ)، وابن حيان الأندلسي (745هـ)، والزركشي (794هـ)، وابن معصوم المدني (1119م)، ومنهم من مال إلى استخدام مصطلح (الاستدراك).

وذهب فريق آخر إلى استخدام مصطلح (الالتفات)، منهم قدامة [20]، وابن رشيق القيرواني (462هـ) الذي ذكر ثلاثة مصطلحات للاعتراض، وكان من بينها مصطلح (الالتفات)، قائلا: "باب الالتفات وهو الاعتراض عند قوم، وسماه آخرون الاستدراك". [21]

وذهب فريق ثالث إلى استخدام مصطلح (الحشو) وترجيح استخدام مصطلح (الاعتراض) عليه، منهم: ابن الأثير (637هـ) الذي وضع بابا وسمه بباب (الاعتراض)، وأشار إلى أن بعضهم يسميه (الحشو) [15]، منهم أبو هلال العسكري (395هـ)، قائلا في مفهومه عن استخدام مصطلح الاعتراض: "فالحشو على ثلاثة أضرب: اثنان منهما مذمومان، وواحد محمود ... ويسمي أهل الصنعة هذا الجنس اعتراض كلام في كلام"[22]، ثم عقد بابا منفصلا في الاعتراض في (الصناعتين).

وكان ابن سنان الخفاجي (466هـ) ممن استخدموا مصطلح (الحشو) للكلمة الواقعة اعتراضا، وهي عنده على قسمين: إما أن تكون مؤثرة، وإما أن تكون عديمة التأثير، فيستوي دخولها مع خروجها، والقسم المؤثر عنده يأتي إما لزيادة الكلام حسنا، وإما ينقص في الكلام ويفسد المعنى ... فأما المحمود فهو ما يحقق فائدة مختارة. [23]

وأما السكاكي (626هـ) فقد استخدم مصطلح الحشو دون ترجيحٍ لمصطلح (الاعتراض)، قائلا: "ومنه الحشو، ويسمى الاعتراض، وهو أن تدرج في الكلام ما يتم المعنى بدونه" [24]، ثم سار ابن حجة الحموي (827هـ) مسار أبو هلال؛ إذ ذهب ابن حجة الحموي (827هـ) إلى استخدام

مصطلحي (الاعتراض) و(الحشو)، ثم رجَّح استخدام مصطلح (الاعتراض) قائلا: "والفرق بينهما [ط] ظاهر، وهو أن الاعتراض يفيد زيادة في غرض المتكلم والناظم، والحشو إنما يأتي لإقامة الوزن لا غير"[25]، وفرَّق ابن معصوم (1119م) بين (الاعتراض) و(الحشو) بأن الاعتراض عند خلوه من نكتة بلاغية يصير حشوا. [26]

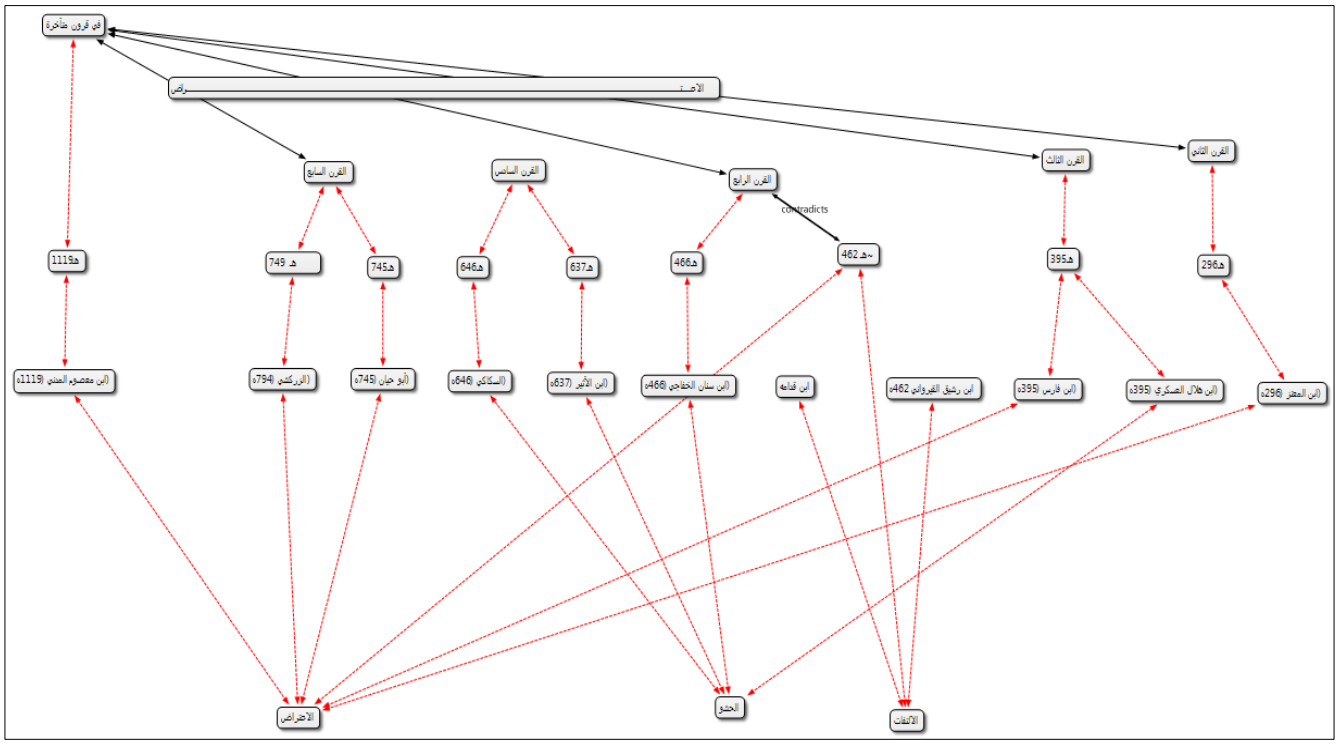

شكل (1): المصطلحات التي استخدمها أهل اللغة والبيان لمصطلح الاعتراض - الشكل من تصميم الباحثين

نماذج من الأحاديث النبوية الشريفة:

أ- عن رَسُولَ اللهِ ﷺ أنه كان يقول: "اللهُمَّ مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ". قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوَ إِنَّ الْقُلُوبَ لَتَتَقَلَّبُ؟ قَالَ: "نَعَمْ، مَا مِنْ خَلْقِ اللهِ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ بَشَرٍ إِلَّا أَنَّ قَلْبَهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ، فَإِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَقَامَهُ، وَإِنْ شَاءَ أَزَاغَهُ، فَنَسْأَلُ اللهَ رَبَّنَا أَنْ لَا يُزِيغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا، وَنَسْأَلُهُ أَنْ يَهَبَ لَنَا مِنْ لَدُنْهُ رَحْمَةً، إِنَّهُ هُوَ الْوَهَّابُ".

([ط]) أي بين الاعتراض والحشو.

ب- عن رَسُولِ اللهِ ﷺ قال: "مَنْ أَنْفَقَ عَلَى ابْنَتَيْنِ، أَوْ أُخْتَيْنِ، أَوْ ذَوَاتَيْ قَرَابَةٍ، يَحْتَسِبُ النَّفَقَةَ عَلَيْهِمَا، حَتَّى يُغْنِيَهُمَا اللهُ مِنْ فَضْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَوْ يَكْفِيَهُمَا، كَانَتَا لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ".

بعض أنماط الجملة الاعتراضية الواردة في الأحاديث النبوية الشريفة:

يتناول البحث الكشف عن أنماط الجملة الاعتراضية في بابها التركيبي، الواردة في الأحاديث النبوية الشريفة؛ تدليلا للكشف عن جانبها اللغوي، ودلالاتها المعنوية، وفيما يلي دراسة لأنماطها التركيبية:

1) نمط الجملة الاسمية المصدرة بـ(لعل):

ورد هذا النمط في قول الرسول الكريم ﷺ: "وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ"؛ فالجملة الاسمية المصدرة بـ(لعل) الواردة في الحديث النبوي الشريف وردت في نمط الجملة الاسمية البسيطة الطلبية، ولعل: كلمة شك، الأصل فيها (علَّ)، زائدة اللام الأولى ، وهي حرف مشبه بالفعل، يعمل عمل إن، تفيد الترجي في الأمر المحبوب.

2) نمط الجملة الفعلية الصغرى، ذات الفعل الماضي البسيطة التركيب، المثبتة.

ورد هذا النمط للجملة الاعتراضية في قول الرسول الكريم ﷺ: "فَإِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَقَامَهُ"، فجملة (عَزَّ وَجَلَّ)،

وردت جملة فعلية بسيطة غير مركبة مصدرة بفعل ماض (عزَّ) وهو الفاعل: أعرف المعارف، ووقعت الجملة معترضة بين الفاعل والمفعول به

وخلاصة القول أن من الأنماط التي وردت فيها الجملة الاعتراضية الواردة في الأحاديث النبوية الشريفة المقيدة بالدراسة ما جاء في في صورة نمطين، هما: نمط الجملة الاسمية المصدرة بـ(لعل)، وهو نمط الجملة الاسمية، غير أنه اقترن بقرينة الطلب للترجي، استُدِلَّ بها على ترجي الأمر المحبوب، ونمط ثان دال على إفادة الثبوث، وهو نمط الجملة الفعلية، الذي أفاد معنى التبوث.

الفوائد البلاغية، والمعاني الدلالية للجملة الاعتراضية في الأحاديث النبوية:

كان للنحاة اهتمامهم البيّن في الكشف عن الأغراض لما يرد معترضا في الكلام، فالفراء ذكر أن الاعتراض إنما يأتي للاستئناف[27]، وذهب المبرد (285هـ) إلى القول بأن الاعتراض يأتي للتأكيد [9]، وأضاف ابن السراج (316هـ) إلى رأي سابقيه أن الجملة الاعتراضية تقع لدفع الشك عن شيء ما، أو لتأكيده [10]، قائلا: "وجملة هذا الذي يجيء معترضا، إنما يكون توكيدا للشيء أو لدفعه؛ لأنه بمنزلة الصفة في الفائدة يوضح عن الشيء ويؤكده" [10]، كما يحقق ذكرها في الكلام تقويته وتسديده وتحسينه [29]، ومن فوائدها البلاغية أيضا أنها ترد "لتقرير معنى يتعلق بها أو بأحد أجزائها" [29]، كما تفيد الدعاء زيادةً في أغراض المتكلمين [25]، وترد أيضا للتقرير، والتنزيه، التشديد [14]، كما ترد لدفع الإبهام. [30]

وكذلك، حظت الجملة الاعتراضية باهتمام من المفسرين، أمثال: الزمخشري (538هـ) في (الكشاف)، وأبو حيان (745هـ) في (البحر المحيط)، والزركشي (794هـ) في (البرهان في علوم القرآن)، والشوكاني (1250هـ) في (فتح القدير)، والألوسي (1270ه) في (روح المعاني)، وابن

عاشور (1393هـ) في (التحرير والتنوير)؛ إذ بيّن ابن عاشور رأيه في أهمية الوقوف على معاني الجملة المعترضة في القرآن الكريم، قائلا: "... ولذلك تكثر في القرآن الجمل المعترضة لأسباب اقتضت نزولها أو بدون ذلك فإن كل جملة تشتمل على حكمة وإرشاد، أو تقويم معوج". [31]

ومن الأغراض البلاغية والمعاني الدلالية للجملة الاعتراضية التي أشار إليها الطوبجي في دراسة طبقها على الجملة الاعتراضية في القرآن الكريم موسومة بـ (الجملة الاعتراضية في القرآن الكريم): الدلالة على الوعيد، والتحدي والتعجيز، ونفي ما جاء مؤكدا، والتعجب والتهكم، والتوكل والثقة، والتعظيم والتخصيص لمزيد العناية والاهتمام في سياق الإجمال والتفسير [32]، وغيرها من الأغراض البلاغية التي بينها أهل البلاغة والبيان في مصنفاتهم.

وأما الأغراض البلاغية للجملة الاعتراضية في الأحاديث النبوية الشريفة فلم يبينها أهل اللغة والبيان مقارنة باهتمامهم بجمل القرآن الكريم على تنوعها، وفيما يلي سيتم الكشف عن بعض الأغراض البلاغية للجملة الاعتراضية في الأحاديث النبوية الشريفة المروية بلفظ الرسول الكريم برواية السيدة أم سلمة:

الأغراض البلاغية للجملة الاعتراضية في الأحاديث النبوية الشريفة:

أ) التمني للبيان والتحقيق:

ورد هذا العرض البلاغي في قول الرسول الكريم: "وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ"؛ إذ أن طائفة من المسلمين كانوا يقصدون الرسول الكريم رافعين خصومتهم إليه، غير أنهم يختلفون عن بعضهم في بيان الجحة في رفع الخصومة للرسول الكريم ﷺ؛ لذلك ورد على لسان الرسول الكريم في كلامه اعتراضا يفيد البيان والتحقيق، وذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: "وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ"؛ إذ بُنِي الاعترض للبيان والتحقيق بأن المتخاصمين ليسوا على درجة واحدة من فصاحة اللسان والبيان، وهذا المعنى يفهم المفاضلة الوادرة في الحديث النبوي في قوله: "(ألحن)" التي وردت في صيغة أفعل تفضيل من لحن كفرح"، وفي هذا إشارة إلى الطبيعة البشرية في ميل بعض المتخاصمين إلى تزيين كلامه حتى يظنه الرسول الكريم صادقا في دعواه. [33]

والجملة الحديثية "وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ" تعبر عن بلاغة الرسول الكريم في الكشف والبيان والتحقيق؛ فقد وردت الجملة الاعتراضية في صورة الإنشاء الطلبي، وهو تمني الرسول الكريم أن يكون بين المتخاصمين من هو ألسن كلاما، وأفصحهم، وأبينهم، وأقدرهم على الحجة والبيان[34]، فيقضي له رسول الله في خصومته،؛ فوردت الجملة اعتراضية ليبين الرسول الكريم للمتخاصمين أن منهم من قد يكون أفصح لسانا وأبين حجة بين جمع المتخامصين.

ويستفاد من الجملة الحديثية أن أمر رد الحق إلى أهله بين المتخاصمين ليس بالأمر الهين اليسير؛ ذلك لأن المتخاصمين يختلفون عن بعضهم في أمر رفع الخصومة، والإشارة بينة في كلام الرسول ﷺ في هذا الشأن، مما يتطلب الاجتهاد في رد الحق لأهله.

ب) التنزيه:

جاء في قول الرسول الكريم ﷺ: " فَإِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَقَامَهُ"، جملة اعتراضية فعلية مصدرة بفعل ماض، تبدو في ظاهرها أنها تدل على المضي؛ فالفعل (عز وجل) فعل ماض مثبت، والجملة الاعتراضية المصدرة به وردت مثبة، وقد وردت جملة الاعتراض بهذه الصيغة في قول الرسول الكريم تنزيها للمولى تبارك وتعالى، وفي هذا المعنى ما يقود إلى ضرورة تجديد الإيمان بالمولى تبارك وتعالى، وتنزيهه عن كل مالا يليق به؛ فهو الخالق الغنى عن خلقه على الدوام.

وأما الوجه البلاغي للجملة الاعتراضية فقد تمثل في الأسلوب الخبري؛ إذ وردت جملة الاعتراض جملة خبرية فعلية، تفيد التنزيه والتعظيم للمولى تبارك وتعالى، وفي هذا ما يدعو إلى التعلق بالمولى تبارك وتعالى، وتجديد الإيمان به كل حين.

ج) التوكيد ودفع الشك

من الأغراض البلاغية التي وردت لها الجملة الاعتراضية في الأحاديث النبوية الشريفة، دفع الشك والإبهام، وذلك في قوله ﷺ: مَنْ أَنْفَقَ عَلَى ابْنَتَيْنِ، أَوْ أُخْتَيْنِ، أَوْ ذَوَاتَيْ قَرَابَةٍ، يَحْتَسِبُ النَّفَقَةَ عَلَيْهِمَا، حَتَّى يُغْنِيَهُمَا اللهُ مِنْ فَضْلِهِ"، فجملة "يَحْتَسِبُ النَّفَقَةَ عَلَيْهِمَا" وردت جملة اعتراضية، أفادت توكيد احتساب الأجر لمن ينفق على البنات والأخوات وكل ذوات القربى، ودفع شك إخراجهن من دائرة الإنفاق، وذلك يفهم بإعادة لفظ النفقة؛ فيؤجر المنفق على عمله الطيب هذا.

إن الأسلوب الخبري في الجملة الاعتراضية المصدرة بالفعل المضارع الواردة في قول الرسول الكريم: "يَحْتَسِبُ النَّفَقَةَ عَلَيْهِمَا" دل على الاستمرار والتجدد؛ أي: استمرار الأجر للمنفق مقابل حرصه على أداء واجب النفقة على البنت أو الأخت، وفي هذه الجملة الاعتراضية ما يرشد ويوجه المسلمين إلى عظم منزلة هذا الواجب عند المولى عز وجل، إذ يكون سببا في حفظ المولى عز وجل للمنفق، ويكون يغنيه من فضله، ويكون إنفاقه سترا له من النار.

النتائج والتوصيات

أولا النتائج:

1) إن بعض النحاة احتجَّ بنص الحديث النبوي الشريف تقعيدا دون إسناد لفظ القول للرسول ﷺ.

2) إن موقف بعض أوائل النحاة في الاستشهاد أو الاحتجاج بالأحاديث النبوية الشريفة لم يكن واضحا، على عكس ما كانوا عليه في استشهاداتهم بكلام العرب والآيات القرآنية.

3) إن تأخر نشأة إعراب الحديث النبوي الشريف كان لها أسبابها المتعددة، وارتبطت جميعها بمواقف النحاة من رواية الأحاديث النبوية الشريفة، غير أن تلك المواقف شجعت بعض القدامى على دراسة الأحاديث النبوية الشريفة في قالب نحوي.

4) إن النشأة الأولى في إعراب الحديث النبوي الشريف كانت نشأة تعليمية لم تتسم بمنهجية واضحة.

5) أشار النحاة المحدثون إلى انقسام النحاة قديما في قضية الاحتجاج بالأحاديث النبوية إلى ثلاثة أفرقة تبين موقفهم في الاحتجاج، غير أن هذه الدراسة توصلت إلى وضع تقسيم آخر تناول منهجية النحاة قديًما في الاحتجاج والاستشهاد بالحديث، وموقفهم في ذلك، فوضعتهم في خمسة أفرقة.

6) إن سيبويه والمبرد ممَّن احتجَّا بكلام رسول الله ﷺ تقعيدا دون أن ينسبا ما احتجا به للفظ الرسول ﷺ.

7) انقسم أهل البلاغة والبيان في في الاصطلاح على الكلام الواقع اعتراضا إلى ثلاثة أفرقة.

8) تعدد مصطلحات الاعتراض عند أهل البلاغة والبيان، واصطلحوا عليه بمصطلحات عدة، وكان مصطلح (الاعتراض) أولها، ثم وضعوا مصطلحات أخرى، منها: (الحشو)، و(الالتفات)، و(الاستدراك) ثم عادوا إلى استخدام مصطلح (الاعتراض) حتى وقتنا الآن.

9) وردت الجملة الاعتراضية على نحو قليل في الأحاديث النبوية الشريفة المروية بلفظ الرسول الكريم ﷺ عن السيدة أم سلمة في مسند الإمام أحمد بن حنبل.

10) من أنماط الجملة الاعتراضية الواردة في الأحاديث النبوية الشريفة ورودها في نمط الجملة الفعلية ذات الفعل الماضي، وورودها في نمط الجملة الفعلية ذات الفعل المضارع.

11) إن للجملة الاعتراضية أغراضها البلاغية التي تؤديها من خلال ورودها في السياقات النصية، ومن تلك الأغراض التي دلت عليها في الأحاديث النبوية الشريفة الدلالة على التمني للبيان والتحقيق، والتنويه، والتوكيد ودفع الشك، وهذا يدفع إلى التوسع في دراسة الأحاديث النبوية لاستنباط الأغراض البلاغية والمعاني الدلالية الواردة في جملها.

التوصيات:

أبر أهم توصيات الباحثين تتمثل فيما يلي:

1) بضرورة حث الجامعات والمراكز البحثية على تحفيز الباحثين وطلاب الدراسات العليا على دراسة الأحاديث النبوية الشريفة، والاستفادة من ثروتها اللغوية.

2) دراسة الجمل التي لا محل لها من الإعراب في أسانيد الأحاديث النبوية الشريف؛ للاستفادى من ثروتها اللغوية.

قائمة المراجع والمصادر

[1] الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني. 1423ه. البيان والتبيين. بيروت: دار ومكتبة الهلال. ج.2. ص .14

[2] العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين. 1986. إعراب الحديث النبوي. تحقيق: عبد الله الآله نبهان. سوريا: مجمع اللغة العربية بدمشق.ط.2.ص23.

[3] د.م. 1998م. "قراءة في مصادر التقعيد النحوي وجهة نظر أصولية". مجلة الكلمة. العدد 18.

[4] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. د.ت. عقود الزبرجد على مسند الإمام أحمد في إعراب الحديث. تح: حسن موسى الشاعر. مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. العدد:63-64.

[5] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. 1989م. الاقتراح في أصول النحو وجدله. تحقيق: محمود فجال. دمشق: دار القلم. ص32.

[6] محمود، محمود حسني. 1979م. احتجاج النحويين بالحديث. مجمع اللغة العربية الأردني. (3-4)، 24-61، وانظر: الحديثي، خديجة. 1981م. موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف. بغداد: دار الرشيد. ص. 20-21.

[7] سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر. 1988م. الكتاب. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ط.3. القاهرة: مكتبة الخانجي. ج.2. ص.393، و ج.3. 286

[8] السيرافي، أبو أحمد يوسف بن أبي سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان. 1978م. شرح كتاب سيبويه. تحقيق: الدكتور محمد على الريح هاشم. القاهرة: مكتبة الكلية الأزهرية: دار الفكر للطباعة والنشر. د.ط. ج.1. ص.364.

[9] المبرد، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، أبو العباس. د.ت. المقتضب. تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة. بيروت: عالم الكتب.ج.3. ص.250.

[10] ابن السراج، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي. د.ت. الأصول في النحو. تحقيق: عبد الحسين الفتلي. بيروت: مؤسسة الرسالة. ج1. ص.131.

[11] السيرافي، يوسف بن أبي سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان أبو محمد. 1974م. شرح أبيات سيبويه. تحقيق: د.محمد علي الريح هاشم. مراجعة: طه عبد الرؤوف سعد. مكتبة الكليات الأزهرية: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. ج.4. ص.36

[12] أبو حيان الأندلسي. د.ت. التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل. تحقيق: د.حسن هنداوي. دمشق: دار القلم. ج.9 . ص.342.

[13] أبو عودة، عودة خليل. 1991م. بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين. عمان: دار النشر. ص.45.

[14] الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر. 1957م. البرهان في علوم القرآن. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه. ج.3. ص.56.

[15] ابن الأثير، نصر الله بن محمد. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة. القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع. ج.2. ص.172.

[16] ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي. 1997م. الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها. الناشر: علي بن بيضون 190

[17] ابن جني، أبو الفتح عثمان. د.ت. الخصائص. الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب. ط.4. ج.1. ص.341.

[18] أبو العباس، عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي. 1990ه. البديع في البديع. الناشر: دار الجبل. ص.154.

[19] الصغاني. الرسالة العسجدية. ص146.

[20] خزانة الأدب وغاية الأرب. ج.2. ص. 281.

[21] ابن رشيق، أبو علي الحسن. 1981م. العمدة في محاسن الشعر وآدابه. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. الطبعة: الخامسة. الناشر: دار الجيل. ج.2. ص.24

[22] العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحي بن مهران. 1419ه. الصناعتين. تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم. بيروت: المكتبة العصرية. ص.48.

[23] ابن سنان الخفاجي، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد. 1982م. سر الفصاحة. الناشر: دار الكتب العلمية. ص.147.

[24] السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي. 1987. مفتاح العلوم. تعليق: نعيم زرزور. بيروت: دار الكتب العلمية. ج.1. ص. 428.

[25] ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله. 2004م. خزانة الأدب وغاية الأرب. تحقيق: عصام شقيو. بيروت: دار ومكتبة الهلال. الطبعة الأخيرة. ج.2. ص.280.

[26] ابن معصوم المدني، صدر الدين علي بن أحمد بن محمد معصوم الحسني الحسينس. د.ت. أنوار الربيع في أنواع البديع. د.ط. د.م. ص.385.

[27] الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور. د.ت. معاني القرآن. تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، وآخرون. مصر: دار المصرية للتأليف والترجمة. ج.1. ص.200.

[28] الغلاييني، مصطفى بن محمد سليم. 1993م. جامع الدروس العربية. ط 28. بيروت: المكتبة العصرية.. ج.3. ص.287.

[29] أ.د. محمد إبراهيم عبادة. 2011م. معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض والقافية. القاهرة: مكتبة الآداب. ص.85.

[30] ابن معصوم المدني، صدر الدين علي بن أحمد بن محمد معصوم الحسني الحسينس. د.ت. أنوار الربيع في أنواع البديع. د.ط. د.م. ص.385.

[31] ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر. 1984م. التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد". تونس: الدار التنونية للنشر. ج.1. ص.81.

[32] الطوبجي. الجملة الاعتراضية في القرآن الكريم. ص.214.

[33] علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا. 2002م. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح. بيروت: دار الفكر. ج.6. ص.2441.

[34] علي بن (سلطان) محمد. مرقاة المفاتيح. المرجع نفسه. ج.6. ص.2441.